تفسير سورة الأعراف الحلقة 112

بسم الله الرحمن الرحيم

**"خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينِ" (199)"وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (200)"إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونِ" (201)"وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ" (202)**

مر الحديث في الأمس في يوم الخميس حول هذه الآيات واليوم أيضا نتحدث حول وسوسة الشيطان وعداوته للإنسان وهل يوسوس للأنبياء والمعصومين؟

أولًا

 الشيطان يعتبر الإنسان عدوًا له وسببًا لخسارته ويتعهد بإضلاله. ما وصل إليه الشيطان من خسارة وخروج من تلك المنزلة التي وصل إليها، فكان مع الملائكة لا يعتبر نفسه هو السبب، وإنما يعتبر الإنسان سببًا لتلك الخسارة فيلقي اللوم على الله سبحانه وتعالى بأن ما فعله الله من الأمر للسجود لآدم هو سبب لضلاله وغوايته: "قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ". يتعهد أنه سيكون بالمرصاد للإنسان لإضلاله ويقسم: "قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ"، هذا شأنه وهذا هدفه كأن الهدف صار له من وجوده بعد أن أمر بالسجود لآدم هو أن يضل الإنسان.

ثانيًا

التحذير من مكائد الشيطان وعداوته. الشيطان عدو: "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ".

الشيطان بطبيعته عدو لا تستطيع أن تقول لم أتخذ الشيطان عدوًا، الله يقول اعتبره عدوًا وتعامل معه على أنه عدو.

ما هو هدف هذا العدو؟

لا يهدأ ولا يفتر ولا يكل حتى يدخل من يتبعه إلى النار فيجعله من أصحاب السعير.

تفريق: الشيطان يريد أن يفرق بين الناس. "وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا". فعداوة الشيطان واضحة ولا يريد من الإنسان إلا الخسارة والهلاك.

الباطل من طريق الحق: الشيطان يصور للإنسان كثيرًا من الأمور التي يسير فيها ابتداءً أنها حق فيجعلها باطلًا ليؤدي بصاحبها للباطل، كالوسواس في العبادة أو التجاوز في الحقوق على الآخرين وغيرها: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ". الشيطان لكم عدو يريد من خلال الحق أن يصلكم للباطل.

طريق الفحشاء والمنكر: إتباع الشيطان نتيجته يؤدي للفحشاء والمنكر: "وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ"هذا شأن الشيطان ومن يسير مع الشيطان.

ثالثًا:

وسوسة الشيطان هي الدعوة والتزيين فقط. الشيطان يدعو ويوسوس، هل يؤثر على الإنسان أم أنه فقط يرغب ويزين؟ "كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ".

الشيطان يدعو، فإذا استجاب له الإنسان يبرأ من هذه الدعوة.

الوسوسة لا تسلب الاختيار، وسوسة الشيطان لا تسلب الاختيار، والإنسان قادر على صدها والتحرر منها، لذلك أمر بالحذر من الشيطان: "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا"، إلا قليل يعني أن هناك مجالًا يعني أن هناك أشخاصًا يستطيعون أن يتجاوزوا ويتغلبوا على وسوسة الشيطان. الشيطان ليس جابرًا وليس قادرًا على أن يجعل الإنسان مسيّرًا، وكما يقول الله تبارك وتعالى على لسان الشيطان يوم القيامة: "وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ، ومَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي، فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم"، الشيطان يقول إنه فقط دعا، وهنا دعوتان: دعوة من الله ودعوة من الشيطان، أنتم اخترتم دعوة الشيطان.

رابعًا:

من أمثلة وسوسة الشيطان: التخويف من الفقر ليتجاوز ويتعدى التعدي الذي يكون من الغش، من الظلم، من التجاوز، من عدم الصدق في الأعمال والسرقات، إلى غير ذلك، خوفًا من الفقر: "لشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ، وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا. وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"، يعدهم الشيطان ويمنيهم. "وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا"، الشيطان فقط يغري الإنسان ويزين له، وليس هناك شيء واقعي.

إشغال الناس: يعني ذكر الله، الشيطان يشغل الإنسان عن ذكر الله.

فإذا لهى الإنسان عن ذكر الله، اقترب للمعاصي والفواحش. أنساهم ذكر الله، فتجدهم يتجاوزون ويعتدون ويقتلون وإلى غير ذلك: "استَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ. أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ. أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُون". لأنهم نسوا ذكر الله.

خامسًا

التحرز من وسوسة الشيطان بأمور كثيرة، وقد مر حديث مفصل أيضًا في هذا السياق. نشير أيضًا في هذا السياق إلى بعض الأمور مثل:

الاستعاذة بالله، "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"، "إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ". المؤمنون الذين يتوكلون على الله ليس للشيطان سلطانٌ.

التوكل على الله، عندما يتوكل الإنسان على الله، يضع حاجزًا بينه وبين الشيطان، وبالتالي لا يستطيع الشيطان السيطرة عليه، حتى فيما يتعلق بالوسوسة. "إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون".

المداومة على ذكر الله، عندما يداوم الإنسان على ذكر الله، يصبح الشيطان بعيدًا عنه، وليس لديه سلطان أو قدرة على الاقتراب منه. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا".

سادسًا)

 الشيطان ضعيف وليس له سلطان، كما مر في الحديث: "إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا"، وأيضًا: "إِنَّهُ لَيس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون"، وهذا يشير إلى ضعف الشيطان وعدم وجود سلطان له على الإنسان. فقط عندما يتولى الشيطان، يكون لديه سلطان. "إِنَّمَا سُلْطَانُه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون".

"إِنَّ عِبادي لَيس لك عليهم سلطان إِلا مَن اتَّبَعك مِن الغاوين"، وهنا يُشير إلى أن السلطان للشيطان على الذين اتبعوه وميلوا نحوه، ولكن لا سلطان له على عباد الله المخلصين.

نرى من النص أن الأنبياء هم أشرف الخلق والمعصومون، ولذلك ليس للشيطان أي سلطان عليهم. ولكن يجب أن نفهم أن هذا النص يشير إلى عدم قدرة الشيطان على التأثير على أولئك الذين يعتمدون على الله ويتوكلون عليه ويظلون مخلصين لعبادته. الشيطان له وجود واقعي، لكنه لا يمكنه السيطرة على أولئك الذين يمتلكون القوة والإيمان للمقاومة وصده عنهم."